**محاضرات وحدة تاريخ الجزائر الحديث – المستوى السنة الثانية ليسانس تاريخ –**

**الأستاذة طيبي مهدية**

**المحاضرة رقم 3**

**طائفة رياس البحر**

**طائفة الرياس و مميزاتها :**

**التعريف :**

تشمل هذه الطائفة مجموع الذين يعيشون على القرصنة و كانت تشمل بالدرجة الأولى الرياس مالكي السفن و كذلك البحارة و عمال الصيانة كالنجارين و الجلافطة **( هم الذين يسدون الفراغات و الثقوب الموجودة بالسفن بالزفت او بمادة عازلة )** , و قد استعملت هذه الكلمة خلال الفترة العثمانية بالجزائر للدلالة على بحرية ايالة الجزائر و عبرت عن كل من له صلة بالبحر و كان لهذه الطائفة دورا أساسيا في مصير هذه الايالة , فمن هم هؤلاء الرجال ياترى ؟ و ما الوسائل التي اوصلتهم الى الشهرة التي حظيوا بها ؟ و ما الدور الذي لعبوه على المستوى الداخلي و الخارجي ؟

**أصل اعضائها :**

كانت التركيبة البشرية للبحرية الجزائرية غنية ومختلفة المشارب , يوحدها الجهاد في سبيل الله , وتكونت من خليط ممتاز من العناصر المحلية إضافة الى اعلاج اروبا الذين أسلموا وانظموا الى بحرية الجزائر , يضاف إليهم بحارة من المشرق الإسلامي واخرون من الأندلس , وهذا ما اكسب الجزائر نفسا جديدا و قوة متجددة و تقنيات إضافية في مجال المعدات البحرية خصوصا.

فالبحارة المحليون والاندلسيون والمشارقة الذين تولوا الحروب البحرية قبل التحاق الجزائر بالدولة العثمانية شكلوا حقا العمود الفقري لقوة سفن القرصنة , اما الاعلاج و الذين ينتمون لكل الأمم المسيحية فقد بدا توافدهم على الايالة ابتداءا من القرن 16م , و يلاحظ بواييه انه خلال هذا القرن كانت غالبية الاعلاج من بلدان البحر الأبيض المتوسط مع أكثرية من المدن الإيطالية , اما خلال القرن 17م فقد ظهرت عناصر جديدة من الاعلاج و الذين ينتمون الى البلدان الغربية كالالمان و الدانماركين .....الخ

**كفاءتهم و انضباطهم :**

لم يكن رجال طائفة الرياس عاديين باعتراف الكتاب الغربيين و المسلمين حيث ابهرتهم حنكتهم و شجاعتهم و نظامهم , حيث كانوا يشكلون احد قوى الحوض الغربي للبجر الأبيض المتوسط و قد تزايدت سيطرتهم بعد 1560م بحيث شكلوا اساطيل حقيقية تمكنوا بواسطتها من مهاجمة سواحل غرب الأندلس و صقلية و نابولي وليفورن ..الخ ولم يقتصر هذا الاسطول على الجهاد البحري والدفاع على السواحل بل مثل دورا في السياسة الأوروبية.

ويعتبر الريس القائد الأول على متن السفينة التي يقودها , سوآءا كان موريسكيا او اسود او كرغليا ,كان الجميع يخضع له حتى الإنكشارية على على ظهر السفينة , **(** **حصل الانكشارية على حق التواجد على متن السفن سنة 1569م)** وكان الريس يقف في الجهة الخلفية للسفينة لتسييرها و اصدار اوامره بالإضافة الى النادل الذي يقوم الذي يقوم بالتنقل على ظهر السفينة من الامام الى الوراء لمراقبة طريقة طريقة التجذيف.

**مقومات قوة طائفة الرياس :**

**السفن المستعملة :**

كانت السفينة أداة الجهاد الأساسية لدى طائفة الرياس تحظى باهتمام بالغ , وهي أنواع كالشينيات , و الفرقاطات , و الباشردات و غيرها و تتحدث المصادر الغربية عن أنواع أخرى ,فخلال القرن 16م كانت السفن المعتمدة هي سفن الشيني وهي سفن شراعية وهي سريعة الحركة بالإضافة الى سفن صغيرة و خفيفة كالغليوطات و الشراعبات و السفن ذات الاشرعة الطويلة , و بحلول القرن 17م عوضت السفن ذات المجاذيف بالسفن المستديرة لكن هذا لم يمنعهم من الاحتفاظ ببعض السفن الشراعية و بحلول القرن 18م انتهت ملحمة السفن المستديرة , وعودة الى سفن الشيني إضافة الى الشبق , و في القرن 19م أصبحت طائفة الرياس تمتلك كل أنواع السفن .

وكانت هذه السفن تأتي من مصدريين رئيسين , اما عن طريق بناءها او إعادة تجهيز السفن المعادية المقبوض عليها , و تشكل المصادر الرئيسية لاستخدام الطبقة العاملة و كان اغلبهم من الاسرى كالنجارين و صانعي الأسلحة.

**الترسانات :**

مع حلول القرن 16م أصبحت مدينة الجزائر تتوفر على احواض لصناعة السفن تمكنها من صنع مختلف أنواع السفن ثم أصبحت تصنع في المراسي و تسمى بالترسانات مثل ميناء خير الدين و كانت المراكب الكبيرة تصنع على ساحل باب الوادي في حين السفن الأقل كبرا على ساحل باب عزون بالإضافة الى ترسانة شرشال و ترسانة عنابة ولم يتوقف انشاء السفن بالجزائر حتى في اسوء أيام التقهقر.

**مصادر التموين**

كانت المادة الأولية في صناعة هذه السفن , هي مادة الخشب فكانت تجلب من نواحي شرشال , و غابات القل الغنية بأشجار البلوط الأخضر , بالإضافة الى غابات بني صالح و السيبوس , اما النقص في التموين فانه يعوض عن طريق القرصنة البحرية للسفن المحملة بالأخشاب , او تحويل السفن التي غنمت , وهناك طريقة أخرى اعتمدتها طائفة رياس البحر لتغطية النقص في المواد الأولية , هو عقد اتفاقيات مع بعض الدول لتزويدها بما تحتاج اليه , فكانت السويد والدنمارك و هولندا تقدم الخشب و الحديد و النحاس و الأسلحة و الكبريت بالإضافة الى مواد أخرى , اما الباب العالي فقد كان يقدم مواد خاصة بالأسطول مثل اخشاب البناء حاملات المدافع دفات المراكب و المجاذيف و صالبات المراكب ...الخ , كما كانت الطائفة تحصل على ما تحتاجه عن طريق مبادلة الزيت و القمح وبعض المواد الأخرى بالعتاد الذي يدخل في صناعة السفن .

**دور طائفة الرياس:**

**في المجال الداخلي:**

شهدت طائفة رياس البحر ازهى فتراتها و احسنها خلال القرن 16م , حيث سيطرت على المجال السياسي , فقد برز البيلربايات من الرياس ليس فقط في المجال الإقليمي و انما في المجال المتوسطي , مثل خير الدين برباروس , وصالح ريس , و حسن باشا بن خير الدين , و العلج علي ....الخ , وقد اثروا على نظام الحكم , اذ تزايد نفوذهم بفضل أرباح الجهاد البحري على حساب فرق الاوجاق في الفترة التي عرفت فيها البحرية ازدهارا كبير بين سنتي 1518م / 1671م , وكان الدايات أيضا يختارون من رياس البحر , وبعد ضعف الرياس اصبحوا يختارون من الجيش الانكشاري .

اما في المجال المالي والاجتماعي فقد كان لهم دور بارز في تخفيف عبئ الضرائب على سكان المدن و الأرياف , وهذا بسبب ارتفاع مصادر الدخل البحري و بالتالي انخفاض حركات العصيان و الانتفاضات , و تسبب النشاط البحري لطائفة الرياس في رفاهية مجتمع المدن وزاد في غنى الحضر , والبحارة و التجار , و عليه فدور طائفة رياس البحر في فترات قوتها كان يشكل متنفسا للدولة و لخزينتها و للأهالي.

**في المجال الخارجي**

عرفت بحرية الجزائر خلال الفترة العثمانية , مرحلتين متباينتين في علاقاتها مع الدولة العثمانية , وبالتالي مع دول اروبا " مرحلة توافق المصالح و مرحلة تناقض المصالح " فخلال الفترة الأولى كانت المصالح مشتركة بين طائفة الرياس و الدولة العثمانية , اذ كان الخطر مشتركا المتمثل في الخطر الاسباني , لذا تظافرت الجهود للقضاء عليه , بمجموعة من المعارك انتهت برسم خريطة جديدة في هذه المنطقة .

وقد استدعت الدولة العثمانية بيلرباي الجزائر خير الدين باشا في الثلاثينات من القرن 16م لقيادة الاسطول العثماني و غادر الجزائر مع مجموعة من خيرة بحارته , وقد أدى تطور العلاقات الدولية و احتدام الصراع بين الدولة العثمانية و اسبانيا الى حدوث سلسلة من الحروب منها معركة بريفيزا بين الحلف المقدس من المسيحي و الدولة العثمانية و انتصر فيها الاسطول العثماني , ثم التدخل لمساعدة فرنسا في حربها ضد الملك الاسباني شارلكان 1542/1543م , حيث قام الاسطول العثماني بقيادة خير الدين بالتوجه الى فرنسا لمساعداتها في حربها ضد شارلكان , و عسكر في طولون و لم ينسحب الابعد عقد صلح الكاريبي بين فرانسوا الأول وشارلكان في نهاية 1544م , ثم حصار مالطا سنة 1565م , التي كانت تشكل خطرا على المصالح الإسلامية و الاخفاق في فتحها, ثم معركة ليبانت عام 1571م , وبعد هذه المعركة ورغم الخسارة استطاع العلج علي الذي عين أميرال على الاسطول العثماني في اصلاح هذا الاسطول المحطم في سنة واحدة , وفي عام 1574م ضمت تونس للدولة العثمانية , و اصبح الشمال الافريقي كله تحت السيادة العثمانية ماعدا المغرب الأقصى , واقتنعت اسبانيا بان استنزاف قواها في حروب كبرى لا طائل منه فعقدت معاهدة صلح مع الدولة العثمانية في 1580م و جددت في سنوات 1581م ,1584م , 1587م .